آيات الهلاك في القرآن الكريم

دراسة موضوعية

م.م. كوثر جبار زيدان علي
kwthrjbazydan@uomustansiriyah.edu.iq
الجامعة المستنصرية, عراق

الملخص :تتناول هذه الدراسة آيات الهلاك في القرآن الكريم من منظور موضوعي، حيث يتم التركيز على تحليل النصوص القرآنية التي تتحدث عن العقوبات والهلاك الذي أصاب الأمم السابقة نتيجة لمخالفتهم أوامر الله وعصيانهم لرسله. تهدف الدراسة إلى فهم الحكمة من وراء ذكر هذه القصص في القرآن وتأثيرها على المؤمنين .تشمل الدراسة استعراضًا شاملاً للآيات التي تتناول قصص الهلاك، مثل قوم نوح، عاد، ثمود، وقوم لوط، وغيرها من الأمم التي أُهلكت بسبب كفرها وطغيانها. يتم تحليل السياق التاريخي والاجتماعي لهذه القصص، وكيفية استخدامها في القرآن كعبرة للأجيال اللاحقة .تتطرق الدراسة أيضًا إلى الدروس المستفادة من هذه القصص، وأثرها في توجيه المسلمين نحو الالتزام بأوامر الله والابتعاد عن المعاصي. كما تستعرض بعض الآراء التفسي رية المختلفة حول هذه الآيات، وتقدم مقارنة بين تفسيرات العلماء عبر العصور .في الختام، تؤكد الدراسة على أهمية تدبر آيات الهلاك في القرآن الكريم، ليس فقط لفهم العقوبات الإلهية، ولكن أيضًا لاستخلاص العبر والدروس التي تعزز الإيمان والتقوى، وتحث على الطاعة والالتزام بالتعاليم الإسلامية.

الكلمة المفتاحية: الهلاك, القرآن, آية

المقدمة

يعد القرآن الكريم مصدر الهداية والنور للإنسان، فهو كتاب الله الذي جاء ليهدي البشرية ويوجهها نحو الخير والسعادة في الدنيا والآخرة. ومن بين موضوعاته المهمة التي تتناولها القرآن هو موضوع الهلاك والعقاب، الذي يظهر في عدد من الآيات القرآنية بأشكال مختلفة. إن فهم موضوع الآيات التي تتحدث عن الهلاك وما لها من أثر الترهيب والتخويف والتحذير منه أمر بالغ الأهمية، فهذه الآيات توضح للإنسان خطورة السلوكيات الضارة والمعاصي التي قد تؤدي إلى الهلاك في الدنيا والآخرة، وتحث على تجنبها والالتزام بالطريق الصحيح.

يهدف هذا البحث إلى استكشاف أهمية دراسة القرآن الكريم وفهم موضوع الهلاك فيه، وتسليط الضوء على دور هذه الآيات في توجيه الإنسان نحو السلوك الصالح وتجنبالمعاصي، وبالتالي تعزيز الوعي الديني والأخلاقي لدى الفرد والمجتمع. سيستعرض هذا البحث بعض الآيات القرآنية التي تتحدث عن الهلاك وتحليل معانيها، إضافة إلى مناقشة أثرها التربوي والتوجيهي في تشكيل السلوك الإنساني ، وتعزيز القيم الإيجابية في المجتمع.

تعد الدراسة القرآنية وفهم موضوع الآيات التي تتحدث عن الهلاك وما لها من أثر الترهيب والتخويف والتحذير منه أمرًا بالغ الأهمية. فالقرآن الكريم يحتوي على توجيهات دقيقة وحكمة عميقة تتعلق بسلوك الإنسان وتأثيراته على حياته الدنيوية والآخرة. إذا نظرنا إلى الآيات التي تناولت موضوع الهلاك والعقوبة، نجد أنها تأتي لتنبيه الإنسان وتحذيره من المخاطر التي قد تواجهه في حال عدم اتباع الطريق الصحيح والمبادئ الإسلامية السليمة. فهي تساعد على تشكيل الوعي الديني الأخلاقي، وتحث على الاعتدال وتجنب السلوكيات الضارة والمحترمة من خلال فهم هذه الآيات والتدبر في معانيها، يمكن للإنسان أن يعمل على تحسين سلوكه وتوجيه حياته نحو الخير والنجاة في الدنيا والآخرة. إنها تذكير بأهمية الاعتقاد بالله واتباع تعاليمه لتحقيق السعادة والنجاة في الدنيا والآخرة من خلال استعراض قصص الاقوام الغابرة.

تناولت العديد من الدراسات موضوع آيات الهلاك في القرآن الكريم من زوايا مختلفة، وساهمت في تقديم فهم أعمق وأشمل لهذه الآيات. يمكن تقسيم الدراسات السابقة إلى عدة محاور رئيسية. هناك دراسات تركز على السياق التاريخي والاجتماعي للأمم التي تناولتها آيات الهلاك، مثل قوم نوح، عاد، وثمود. من هذه الدراسات، نجد بحث الدكتور أحمد شلبي الذي تناول تاريخ هذه الأمم من مصادر تاريخية متعددة، وربطها بالنصوص القرآنية لتقديم صورة شاملة للأحداث. ودراسات أخرى، مثل بحث الدكتور عماد الدين خليل، تناولت السياق الاجتماعي للأمم المذكورة في القرآن، وكيف أن التغيرات الاجتماعية والثقافية أدت إلى هلاكها.

وهناك العديد من الدراسات ركزت على استخراج الدروس والعبر من آيات الهلاك، مثل دراسة الدكتور يوسف القرضاوي التي تناولت الحكمة من وراء ذكر هذه القصص في القرآن وكيف يمكن للمؤمنين الاستفادة منها في حياتهم اليومية. ودراسة الدكتور عبد الكريم زيدان التي تناولت أثر قصص الهلاك على توجيه السلوك الفردي والجماعي للمسلمين، وربطها بأهمية الالتزام بتعاليم الإسلام.

المنهج

منهج الوصفي هو أحد المناهج العلمية التي تعتمد على وصف الظواهر ووضعها في سياق معين بهدف تحليلها وفهمها.[1] يعتبر هذا المنهج مناسباً لدراسة "آيات الهلاك في القرآن الكريم" لأنه يسمح بتحليل النصوص القرآنية وصفياً، لفهم الحكمة والدروس المستفادة منها. فيما يلي تفصيل لكيفية تطبيق المنهج الوصفي على هذا الموضوع لجمع البيانات:

في البداية، يتم جمع كافة الآيات القرآنية التي تتناول موضوع الهلاك. يشمل ذلك آيات تتحدث عن قصص الأمم السابقة التي أهلكها الله بسبب عصيانها وكفرها. يمكن استخدام التفاسير المختلفة لجمع المزيد من الشروحات حول هذه الآيات. ثم التصنيف والتبويب بعد جمع البيانات، يتم تصنيف الآيات وفقاً للأمم التي تتناولها (مثل قوم نوح، عاد، ثمود، قوم لوط، وغيرها). يمكن أيضاً تصنيف الآيات حسب نوع الهلاك والعقوبات

[1] عبد الرحمن بدوي, لبحث العلمي: أسسه وطريقة كتابته, الناشر: وكالة المطبوعات, كويت, ص. 24

التي ذكرت فيها. ثم تحليل القصص والدروس المستفادة: يتم تحليل قصص الهلاك واستخراج الدروس والعبر منها. يتم وصف كيف أن هذه القصص تعمل كعبر ودروس للمؤمنين، وتحذرهم من عواقب العصيان والكفر. يمكن أيضاً دراسة التأثير النفسي والتربوي لهذه القصص على الأفراد والمجتمعات.

التحليل والمناقشة

الفصل الأول

أولا: الهلاك لغة واصطلاحاً

الهلاك لغة

إنّ الهلاك في اللغة هو مصدر للجذر الثلاثي "هَلَكَ" والمقصود به الموت والفناء، واشتقاقاته كثيرة منها هلكى وهُلّاك، والهُلّاك هم الصعاليك الذين يترددون على الناس ويسألونهم المعروف والعطاء،[٢] **و الهلاك** : (معنى إدراك الناس للدمار ، أي الموت والدمارفي اللغة العربية، هو اسم فاعل من الفعل ، ويقال في اللغة ، أي الموتوالفناء ، والدمار هو الغفلة التي تقود. حتالموت ، ومن مرادفاته الفساد والدمار والدماروالموت والدمار وغيرها ، والجزء النشط منه يسمى الهالكين والدمار المعنى أنسل يمشي على أطراف قدميه)

الهلاك اصطلاحاً

إن الهلاك قد يأتي على أكثر من وجه وبأكثر من سبب، وهذه الأسباب هي: (فناء الشيء من عند الإنسان ونفاده من عنده رغم وجوده عند غيره، وذهاب الشيء بسبب الإفساد والتخريب، وذهابه بسبب انعدامه من الوجود بالكلية، كما قد يكون الموت هو سبب الهلاك، ومنه يُقال للأمور التي تؤدّي بصاحبها إلى الموت "تهلُكة" أي أنّ مظنّة الموت والهلاك متحقّقة فيها، وقد يُطلق الهلاك على الخوف والجوع والفقر، والهلك جمع هلكة وهي السنين المجدبة أي التي يُعاني فيها الناس من قلّة الطعام والماء بسبب امتناع المطر عن النزول، ولجميع المعاني السابقة شواهد قرآنية. [٣]

---

(٢) د. عبدالله شعبان ، السنن في هلاك الأمم ، دراسة تحليلية ،دار مكة المكرمة ، دار مكة المكرمة ، ٢٠٠٦ .

(٣) أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، بصائر ذوي التمييز، ت ٨١٧هـ، ج ٥، ص ٣٤٦

والهلاك : خروج الشيء عن أن يكون منتفعا به الانتفاع الموضوع له.

ثانياً: نبذه عن أسباب الهلاك في القران الكريم

قال القرآن الكريم في الكثير من آياته إن الأمم لا تقوم أو تسقط اعتباطًا، بل بناء على سنن ثابتة لا تتبدل، وقد نبَّه أولى الألباب إلى أسباب دمار الأمم وهلاكها - برغم ازدهارها المادي والعمراني - فكان من هذه الأسباب [٤] :

١- الجحود بآيات الله تعالى وعصيان رسله.

٢- اتباع أمر كل جبار عنيد، وإطاعة أمر المسرفين الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون، كفعل عاد وثمود. ٣- الفرح بالعلم المادي، والإعراض عما جاء به الوحى، كالذين حكى الله عنهم في آخر سورة غافر.

٤- الغرور بالقوة المادية والثروة المالية، والغفلة عن بأس الله عز وجل، كفعل فرعون وقارون.

٥- الظلم والبخس والبغي بغير الحق، وخصوصًا على الفقراء والمستضعفين، كفعل مدين قوم شعيب.

٦- اقتراف الفواحش، واتباع الشهوات، كفعل قوم لوط.

٧- شيوع الفساد في الأرض، واستعلان المنكر، وعدم التناهي عنه كما فعل بنو إسرائيل { كَانُواْ لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ} [٥]

(٤) د. يوسف القرضاوي، الإسلام حضارة الغد، الدوحة: ذو القعدة ١٤١٣هـ - مايو (آيار) ١٩٩٣م، ص١٢٩.

(٥) سورة المائدة اية: ٧٩.

٨- الكفر بأنعم الله وعدم القيام بشكرها، بل استخدامها في معاصي الله {فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ}. [٦]

٩- الترف والبطر: {وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا} [٧] والبعض من ايات الهلاك التي ذكرت في القران الكريم .

(أ) وَتِلْكَ الْقُرٰى اَهْلَكْنٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوْا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَّوْعِدًا. الكهف: ٥٩

(ب) وَلَوْ اَنَّآ اَهْلَكْنٰهُمْ بِعَذَابٍ مِّنْ قَبْلِهٖ لَقَالُوْا رَبَّنَا لَوْلَآ اَرْسَلْتَ اِلَيْنَا رَسُوْلًا فَنَتَّبِعَ اٰيٰتِكَ مِنْ قَبْلِ اَنْ نَّذِلَّ وَنَخْزٰى طه: ١٣٤

(ج) اَهُمْ خَيْرٌ اَمْ قَوْمُ تُبَّعٍۙ وَّالَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِهِمْۗ اَهْلَكْنٰهُمْ اِنَّهُمْ كَانُوْا مُجْرِمِيْنَ. الدخان: ٣٧

(د) وَاِذَا تَوَلّٰى سَعٰى فِى الْاَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيْهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ۗ وَ اللّٰهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ. البقرة: ٢٠٥

(هـ) مَثَلُ مَا يُنْفِقُوْنَ فِيْ هٰذِهِ الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيْحٍ فِيْهَا صِرٌّ اَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوْٓا اَنْفُسَهُمْ فَاَهْلَكَتْهُ ۗ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللّٰهُ وَلٰكِنْ اَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُوْنَ. آل عمران: ١١٧

(و) وَاِذْ غَدَوْتَ مِنْ اَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِيْنَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَاللّٰهُ سَمِيْعٌ عَلِيْمٌۙ. آل عمران: ١٢١

(ز) لَقَدْ كَفَرَ الَّذِيْنَ قَالُوْٓا اِنَّ اللّٰهَ هُوَ الْمَسِيْحُ ابْنُ مَرْيَمَۗ قُلْ فَمَنْ يَّمْلِكُ مِنَ اللّٰهِ شَيْـًٔا اِنْ اَرَادَ اَنْ يُّهْلِكَ الْمَسِيْحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَاُمَّهٗ وَمَنْ فِى الْاَرْضِ جَمِيْعًا ۗوَلِلّٰهِ

(٦) سورة النحل اية :١١٢

(٧) سورة القصص اية ٥٨

مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۗ يَخْلُقُ مَا يَشَاۤءُ ۗوَاللّٰهُ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ. المائدة: ١٧

(ح) اَلَمْ يَرَوْا كَمْ اَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِّنْ قَرْنٍ مَّكَّنّٰهُمْ فِى الْاَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَّكُمْ وَاَرْسَلْنَا السَّمَاۤءَ عَلَيْهِمْ مِّدْرَارًا ۖوَّجَعَلْنَا الْاَنْهٰرَ تَجْرِيْ مِنْ تَحْتِهِمْ فَاَهْلَكْنٰهُمْ بِذُنُوْبِهِمْ وَاَنْشَأْنَا مِنْۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا اٰخَرِيْنَ. الأنعام: ٦

(ط) وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ ۚوَاِنْ يُّهْلِكُوْنَ اِلَّآ اَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُوْنَ. الأنعام: ٢٦

(ي) قُلْ اَرَاَيْتَكُمْ اِنْ اَتٰىكُمْ عَذَابُ اللّٰهِ بَغْتَةً اَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ اِلَّا الْقَوْمُ الظّٰلِمُوْنَ. الأنعام: ٤٧

(ك) وَكَمْ مِّنْ قَرْيَةٍ اَهْلَكْنٰهَا فَجَاۤءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا اَوْ هُمْ قَاۤىِٕلُوْنَ. الأعراف: ٤

(ل)قَالُوْٓا اُوْذِيْنَا مِنْ قَبْلِ اَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ۗقَالَ عَسٰى رَبُّكُمْ اَنْ يُّهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى الْاَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُوْنَ. الأعراف: ١٢٩

(م) وَاخْتَارَ مُوْسٰى قَوْمَهٗ سَبْعِيْنَ رَجُلًا لِّمِيْقَاتِنَا ۚفَلَمَّآ اَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ اَهْلَكْتَهُمْ مِّنْ قَبْلُ وَاِيَّايَ ۗ اَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاۤءُ مِنَّا ۚ اِنْ هِيَ اِلَّا فِتْنَتُكَ ۗ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاۤءُ وَتَهْدِيْ مَنْ تَشَاۤءُ ۗ اَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَاَنْتَ خَيْرُ الْغٰفِرِيْنَ. الأعراف: ١٥٥

(ن)اَوْ تَقُوْلُوْٓا اِنَّمَآ اَشْرَكَ اٰبَاۤؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنْۢ بَعْدِهِمْ ۚ اَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُوْنَ: ١٧٣

(س) كَدَأْبِ اٰلِ فِرْعَوْنَ ۙ وَالَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوْا بِاٰيٰتِ رَبِّهِمْ فَاَهْلَكْنٰهُمْ بِذُنُوْبِهِمْ وَاَغْرَقْنَآ اٰلَ فِرْعَوْنَ ۚ وَكُلٌّ كَانُوْا ظٰلِمِيْنَ. الأنفال: ٥٤

(ع) لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيْبًا وَّسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوْكَ وَلٰكِنْۢ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُۗ وَسَيَحْلِفُوْنَ بِاللّٰهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْۚ يُهْلِكُوْنَ اَنْفُسَهُمْۚ وَاللّٰهُ يَعْلَمُ اِنَّهُمْ لَكٰذِبُوْنَ . التوبة: ٤٢

(ف) وَلَقَدْ اَهْلَكْنَا الْقُرُوْنَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوْاۙ وَجَاۤءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنٰتِ وَمَا كَانُوْا لِيُؤْمِنُوْاۗ كَذٰلِكَ نَجْزِى الْقَوْمَ الْمُجْرِمِيْنَ. يونس: ١٣

(ص) اَمْ يَقُوْلُوْنَ افْتَرٰىهُۗ قُلْ فَأْتُوْا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهٖ مُفْتَرَيٰتٍ وَّادْعُوْا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِّنْ دُوْنِ اللّٰهِ اِنْ كُنْتُمْ صٰدِقِيْنَ. هود: ١٣

(ق) قَالَ يٰنُوْحُ اِنَّهٗ لَيْسَ مِنْ اَهْلِكَۚ اِنَّهٗ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهٖ عِلْمٌۗ اِنِّيْٓ اَعِظُكَ اَنْ تَكُوْنَ مِنَ الْجٰهِلِيْنَ. هود: ٤٦

(ر) وَقَالَ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِّنْ اَرْضِنَآ اَوْ لَتَعُوْدُنَّ فِيْ مِلَّتِنَاۗ فَاَوْحٰٓى اِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظّٰلِمِيْنَ ۙ إبراهيم: ١٣

(ش) وَكَمْ اَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُوْنِ مِنْۢ بَعْدِ نُوْحٍۗ وَكَفٰى بِرَبِّكَ بِذُنُوْبِ عِبَادِهٖ خَبِيْرًاۢ بَصِيْرًا. الإسراء: ١٧

(ت) وَكَمْ اَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّنْ قَرْنٍ هُمْ اَحْسَنُ اَثَاثًا وَّرِءْيًا مريم: ٧٤

(ث) وَكَمْ اَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّنْ قَرْنٍۗ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِّنْ اَحَدٍ اَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا مريم: ٩٨

وكل واحدة من هذه الجرائم حَرِية أن تعجل بعقاب الله وبأسه الذي لا يُرَد عن القوم المجرمين.

الفصل الثاني

اولاً: قصص الاقوام التي هلكت بذنوبها (قوم نوح وعاد وثمود) مع التحليل

قوم نوح [٨] : كانت وسيلة هلاك قوم نوح هي الغرق بالطوفان، وذلك حين دعاهم نبي الله نوح وكذبوا وقد قال الله تعالى ذلك في كتابه الكريم: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ

(٨) سعيد محمد بابا ، اسباب هلاك الامم السالفة ، سلسلة اصدارات الحكمة ، الطبعة الاولى ، (١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م) ، ص ٣٨ .

نَذِيرٌ مُبِينٌ) [٩] ، وقال أيضًا سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ) [١٠]، وقد ظل نبي الله نوح عليه السلام يدعوا قومه إلى الإيمان بالله وترك عبادة الأصنام التي لا تضر ولا تنفع، فقال لهم في كتاب الله: (إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ) [١١] ، لبث سيدنا نوح في قومه ما يقارب الألف عام إلا خمسين، ومع ذلك لم يؤمن به فقط سوى ٩٥٠ شخص فقط، وقد ذكر الله تعالى ذلك فقال: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ) [١٢]، ولكن مع كل الأدلة والبراهين التي قدمها نبي الله نوح لقومه ظلوا مصرين على الكفر بالله وعبادة الأصنام، ولكن طلبوا منه أن يثبت لهم أكثر فقالوا له، كما ذكرها الله تعالى : (قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ)[١٣] ، ولكن مع كل ذلك كذبوا واتهموا بالجنون وقالوا له كما ذكر في كتاب الله: (قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ)[١٤] حينها قام نبي الله نوح بالشكوى إلى الله تعالى من قومه فقال كما ذكر: (قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا) [١٥]، ولم يكن هناك أي وسيلة أخرى سوى الدعاء عليهم بدلًا من الدعاء لهم وذلك بسبب كفرهم وطغيانهم، فقال نبي الله نوح كما ذكر في كتاب الله :(وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا) [١٦] ، فأرسل الله عليهم الطوفان، وأمر الله تعالى نبي الله نوح ببناء سفينة في الصحراء وأن يجمع فيها من كل زوجين أثنين، من الذين أمنوا بالله تعالى، ووعدهم الله تعالى بالنجاة من ذلك الطوفان فقال تعالى: (قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ

---

(٩) في سورة هود اية ٢٥

(١٠) سورة المؤمنون اية ٢٣

(١١) سورة الشعراء اية ١٠٦

(١٢) سورة العنكبوت ١٤

(١٣) سورة هود ٣٢

(١٤) سورة الشعراء اية ١١٦

(١٥) سورة نوح – الآية ٢١

(١٦) سورة نوح في الآية ٢٦

بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ).[١٧]

٢- قوم عاد [١٨]: كانوا أعظمَ أهل زمانهم خَلْقًا، وأطولَهم أبدانًا، وأشدَّهم بطشًا، قال الله عزّ وجلّ :﴿ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً ﴾[١٩]. بل لم يخلُق اللهُ مثلَ قوتهم في البلاد؛ قال سبحانه عنهم :﴿ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلادِ ﴾ [٢٠] . قال الإمام البغوي رحمه الله: (أي: لم يُخلَق مثلُ تلك القبيلة في الطول والقوة).

كانت مساكنُهم عظيمةً جدا، ذواتَ أعمِدةٍ ضِخامٍ وبُنيانٍ شاهق :﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ *إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴾[٢١]

أترَفوا أنفسَهم في مساكنهم، فكانوا يبنُون في كل مكانٍ مُرتفِعٍ بُنيانًا مُحكَمًا باهرًا هائلاً، يفعلون ذلك عبثًا لا للحاجة إليها؛ بل لمُجرَّد اللهو وإظهار القوة والمُفاخَرة، فأنكر عليهم نبيُّهم ذلك :﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ﴾ [٢٢] ؛ لأنه تضييعٌ للزمان، وإجهادٌ للأبدان في غير فائدة، وإشغالٌ بما لا يُجدِي لا في الدنيا ولا في الآخرة، ومظهر عُجْبٍ وكبرياء. لهمبروجًا مُشيَّدةً ليُخلَّدوا في الدنيا بزعمهم، قال سبحانه :﴿ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴾ [٢٣]، فكانوا يبنون ما لا يسكُنون، ويُؤمِّلون ما لا يُدرِكون .

دعاهم هودٌ – عليه السلام - إلى عبادة الله وحده ونبذ الأوثان :﴿ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾[٢٤]. فاستخفُّوا بنبيِّهم ورمَوه بالجُنون، وقالوا له :﴿إِنْ نَقُولُ إِلا اعْتَرَاكَ

(١٧) سورة هود الآية ٤٨

(١٨) د. احمد بن عطية بن علي الغامدي ، الايمان بين السلف والمتكلمين، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة ، الطبعة الاولى ، (١٤٢٣هـ/٢٠٠م) .

(١٩) سورة الأعراف اية ٦٩

(٢٠) سورة الفجر اية ٨

(٢١) سورة الفجر آيات ٦، ٧

(٢٢) سورة الشعراء اية ١٢٨

(٢٣) سورة الشعراء اية ١٢٩

(٢٤) سورة الأعراف اية ٦٥

بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ ﴾ -[٢٥] أي: بجنونٍ في عقلك، وسخِروا منه وقالوا :﴿ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ ﴾ [٢٦]، وصارَحوه بكفرهم وعنادهم؛ وقالوا له :﴿ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [٢٧] . وزادوا في الطغيان وأبَوا أن يتَّبِعوا رسولَهم تكبُّرًا منهم؛ فقالوا :﴿ مَا هَذَا إِلا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴾ [٢٨]

وأنكرُوا البعثَ والنشور، وقال بعضُهم لبعضٍ :﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ﴾ [٢٩]، بل استبعَدوا يوم الحشر والنشور وظلَموا ضعفاءهم؛ بغِلظتهم وجبروتهم. لم يقوموا بحق الخالق ولا المخلوق؛ تكبرًا على الله؛ وتجبُّرًا على عباد الله : ﴿ وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴾ [٣٠]. والله - عز وجل - يُملِي للظالم، وإذا أخذَه لم يُفلِته.

سخِروا من نبيِّهم وبما دعاهم إليه، فاستدرَجهم الله من حيث لا يعلمون، وأمسكَ عنهم القطرَ فأجدبَت الأرضُ، فساقَ الله سحابةً لما رأوها مُستقبِلةً أودِيَتهم استبشَروا وقالوا : ﴿ هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا ﴾[٣١] قال الله :﴿ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ ﴾ أي: من العذاب ﴿ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ سلَّطها عليهم سبعَ ليالٍ وثمانيةَ أيامٍ حُسُومًا دائمةً لم تنقطِع لحظةً، وكانت ريحًا عقيمةً لا خير فيها ولا بركة، لا تُلقِّح شجرًا ولا تَحمِلُ مطرًا، صرصرًا باردةً شديدةً، لمسيرها صوتٌ قويٌّ مُفزِعٌ، ﴿ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا ﴾ [٣٢] ، ﴿ مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ ﴾ [٣٣]فأهلكَته.

---

(٢٥) سورة هود – الآية ٥٤

(٢٦) سورة الأعراف اية ٦٦

(٢٧) سورة هود – الآية ٥٣

(٢٨) سورة المؤمنون اية ٣٣

(٢٩) سورة المؤمنون اية ٣٥

(٣٠) سورة هود – الآية ٥٩

(٣١) سورة الاحقاف اية ٢٤

(٣٢) سورة الاحقاف اية ٢٥

(٣٣) سورة الذاريات اية ٤٢

تحمِلُ الرجلَ منهم عاليًا ثم تُنكِّسُه على رأسه فينقطِع عن جسده، فتراهم ﴿ صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴾ [٣٤] بلا رُؤوسٍ، فبادُوا عن آخرهم ولم تبقَ لهم باقية، ﴿ فَأَصْبَحُوا لا يُرَى إِلا مَسَاكِنُهُمْ ﴾ [٣٥]، وأتبعَهم الله في هذه الدنيا لعنةً ويوم القيامة، وجعلَهم عبرةً لمن بعدَهم، قال سبحانه :﴿ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لا يُنْصَرُونَ ﴾ [٣٦] .

٣- قوم ثمود: كذّب قوم ثمود بدعوة نبيّهم صالح -عليه السّلام- فاستحقّوا العذاب والهلاك من الله -تعالى-، فأهلكهم الله -عز وجل- بصاعقةٍ نزلت عليهم، فأهلكتهم عن بكرة أبيهم، قال الله -تعالى- في سورة فصلت: (وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ)،[٣٧] وذلك لأنّهم اقترفوا ذنوباً وكبائر عظيمة، وعصَوا نبي الله. [٣٨]

وقد جاء ذكر عذابهم في موضع آخر من آيات القرآن الكريم، فقال الله -تعالى- فيهم: (فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُواْ بِالطَّاغِيَةِ) [٣٩] وقد تباينت أقوال العلماء والمفسّرين في تفسيرهم لكلمة الطاغية على النحو الآتي: [٤٠]

١) إن المقصود بالطّاغية أنّها تجاوزت الحدّ، أي إنّ الله -تعالى- أرسل عليهم صيحة بلغت مبلغها من القوّة والشدّة، وقيل إنّ الله -تعالى- أرسل عليهم رجفة تجاوزت حدّها.

٢) إنّ المقصود بالطّاغية أنّ الله -تعالى- أهلكهم بسبب طغيانهم واقترافهم الذنوب. إنّ المراد بالطّاغية هم الجماعة الّذين عصَوا أمر الرسول من قوم ثمود، وهم الذين تآمروا

---

(٣٤) سورة الحاقة اية ٧

(٣٥) سورة الاحقاف اية ٢٥

(٣٦) سورة فصلت اية: ١٦

(٣٧) سورة فصلت، آية:١٧

(٣٨) محمد طنطاوي، التفسير الوسيط، دار المعارف، ١٩٩٢ صفحة ٣٤٠.

(٣٩) سورة الحاقة، آية:٥

(٤٠) فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، دار الفكر للطباعة والنشر، صفحة ٦٢١

على عقر الناقة وخطّطوا لها، فيكون مراد الله -تعالى- من الآية أنّه أهلك قوم ثمود بسبب طواغيتهم وأفعالهم الشنيعة.

٣) قد يكون المقصود بقوله "الطاغية" هو الشخص الذي أقدم على قتل الناقة، ولكنّ اللّفظ أطلق عليهم جميعهم؛ وذلك لأنّهم أقرّوا عليه فعله وارتضوه.

ثانياً: أنواع الهلاك في القران الكريم

١- الغرق والطوفان:

عذب الله به الكافرين من قوم نوح {فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ} [٤١] . قال ابن كثير: "من كثرة ذنوبهم وعتوهم وإصرارهم على كفرهم ومخالفتهم رسولهم أغرقوا]. [٤٢] ثم عذب الله فرعون وجنوده بالغرق في اليم {فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِي ٱلْيَمِّ}.[الأعراف:١٣٦]. {فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ} [٤٣]. كما عذب بالسيل والطوفان مملكة سبأ (فَأَعْرَضُواْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ * ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُمْ بِمَا كَفَرُواْ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلاَّ ٱلْكَفُورَ) [٤٤]. وهدد الله الآمنين من مكره بعذاب الغرق فقال:{أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لاَ تَجِدُواْ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا} [٤٥] يقول ابن كثير [٤٦] : أي يُعِيدكُمْ " فِي الْبَحْر مَرَّة ثَانِيَة " فَيُرْسِل عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنْ الرِّيح " أَيْ يَقْصِف الصَّوَارِي وَيُغْرِق الْمَرَاكِب .

٢.الريح:

١- وهو عذاب الله عذب به قوم عاد لما كفروا بربهم. {وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُواْ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ} [٤٧] . وقد كان نبينا إذا رأى ريحاً خاف وظهر ذلك في وجهه، وفي

---

(٤١) سورة العنكبوت، اية ١٤

(٤٢) ابن كثير ، تفسير القران العظيم ، دار ابن حزم

(٤٣) سورة الأنبياء اية٧٧

(٤٤) سورة سبأ اية ١٦-١٧

(٤٥) سورة الإسراء اية ٦٩

(٤٦) ابن كثير ، تفسير القران العظيم، مصدر سابق.

(٤٧) سورة الحاقة، آية:٦

مسلم عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله كان إذا عصفت الريح يقول:

((اللّٰهُمَّ إني أسألك خيرها وخير ما فيها

٢- وخير ما أرسلت به، وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به)) [٤٨] .

تقول عائشة رضي الله عنها: وكان إذا رأى غيماً أو ريحاً عرف ذلك في وجهه، قالت: يا رسول الله الناس إذا رأوا الغيم فرحوا رجاء أن يكون فيه المطر، وأراك إذا رأيته عرفت في وجهك الكراهية؟ فقال :((يا عائشة ما يؤمنني أن يكون فيه عذاب، قد عذب قوم بالريح، ورأى قوم العذاب فقالوا: {هَـٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا})) [٤٩]

٣- ٣- الصيحة:

٤- وهي عذاب الله الذي عذب به قوم صالح والصيحة هي كما قال القرطبي [٥٠] في تفسيرها: "صيح بهم فماتوا، وقيل صاح بهم جبريل، وقيل غيره. وقال أيضاً: كانت صيحة شديدة خلعت قلوبهم" {وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دِيَارِهِمْ جَـٰثِمِينَ} [٥١] وقال ابن كثير فى تفسيره "جَاءَتْهُمْ صَيْحَة مِنْ السَّمَاء وَرَجْفَة شَدِيدَة مِنْ أَسْفَل مِنْهُمْ فَفَاضَتْ الْأَرْوَاح وَزَهَقَتْ النُّفُوس فِي سَاعَة وَاحِدَة ." ويهدد الله المشركين بمثل هذا العذاب فيقول: {وَمَا يَنظُرُ هَـٰؤُلَآء إِلاَّ صَيْحَةً وٰحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ}[٥٢]

٥- ٤- الحاصب: الحجارة

والحاصب كما قال أبو عبيدة هي" الحجارة "وقال ابن حجر: الحصباء في الريح. وهو العذاب الذي عذب الله به قوم لوط لما كفروا وارتكبوا الموبقات فقال: {فَمِنْهُم مَّن أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ

---

(٤٨) صحيح مسلم، ج ٢، ص ٦١٦، رقم 2757

(٤٩) صحيح البخاري، رقم 4828

(٥٠) محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي أبو عبد الله، الجامع لأحكام القرآن تفسير، ص ٢٢٩

(٥١) سورة هود – الآية ٦٧

(٥٢) سورة ص – الآية ١٥

حَاصِباً}[٥٣] .ونقل القرطبي [٥٤] في تفسيره {وَمَا هِى مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ} [هود:٨٣]. وهو العذاب الذي عذب الله به أصحاب الفيل {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ * أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْراً أَبَابِيلَ * تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مّن سِجّيلٍ} [٥٥] ومن جنسه الحد الذي جعله الله عقوبة للزاني المحصن، وهو الرجم. والحاصب هو العذاب الذي حذر الله قريشاً به فقال: {أَمْ أَمِنتُمْ مّن فِى ٱلسَّمَاء أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَٰصِباً فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ} [٥٦]

٥- الخسف:

والخسف هو كما عرفه القرطبي [٥٧] هو "الذهاب في الأرض"؛ وهو ذهاب المكان ومن عليه وغيبوبته في بطن الأرض. وهو عذاب الله به قارون لما بغى وأفسد فقال: {فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ ٱلأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ} [٥٨] وهو أحد أنواع العذاب التي تكون في آخر الزمان كما في حديث عمران بن حصين حيث سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: ((في هذه الأمة خسف ومسخ وقذف، إذا ظهرت القينات والمعازف، وشرب الخمور)) [٥٩] وقد حذر الله العصاة من هذا العذاب:{أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيّئَاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَشْعُرُونَ} النحل:٤٥ [٦٠] .

([٥٣]) سورة العنكبوت اية :٤٠

([٥٤]) محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ،مصدر سابق، ص ٢٣١

([٥٥]) سورة الفيل – الآية ١-٤

([٥٦]) سورة الملك – الآية ١٧

([٥٧]) محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ،مصدر سابق، ص ٥٦٣

([٥٨]) سورة القصص – الآية ٨١

([٥٩]) واه الترمذي وصححه الألباني

([٦٠]) سورة النحل – الآية ٤٥

الفصل الثالث

دراسة بلاغية لآيات الهلاك

١- علم المعاني

إنّ كلمة "الهلاك" لم تُذكر في القرآن الكريم بهذه الصيغة، وإنّما ذُكرت باشتقاقاتها المتعدّدة نحو: "هلك ويهلك وأهلكناهم والتهلكة"، وغير ذلك من الاستعمالات، وقد تردّدت هذه الاشتقاقات كثيرًا في القرآن الكريم، وفيما يأتي بعض الشواهد القرآنية لمصطلح "الهلاك" مع ذكر المعنى المراد في كلّ شاهدٍ ودليل:[٦١]

جاء في القرآن الكريم ذكرٌ لكلمة الهلاك بمعنى الموت، ومنها قوله تعالى في سورة النساء: {إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ۚ }،[٦٢] وقد حكت بعض المعاجماللغوية أنّ كلمة الهلاك لا تُذكر إلّا عند الحديث عن ميتة السوء، ولكنّ استعمال القرآن لها بهذا السياق بالإضافة إلى استعماله لكلمة "هلك" عند الحديث عن موت النبي يوسف؛ حيث قال في سورة غافر: {وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءَكُم بِهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِن بَعْدِهِ رَسُولًا ۚ }،[٦٣] يدلّ على جواز استعمال كلمة الهلاك بمعنى الموت مع المسلم والكافر والله تعالى أعلم.

جاء مصلح الهلاك في القرآن الكريم بمعنى العذاب والفناء وهذا كثيرًا ما يُستخدم عند الحديث عن الكفّار والظالمين، كقوله في سورة الأنعام: {ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ}،[٦٤] وقوله حكايةً عن قوم ثمود: {فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ}،[٦٥] وغير ذلك من الأمثلة التي يتبيّن من خلالها أنّ الله -عزّ وجلّ- قد أهلك الظالمين بالعذاب والموت السيء وأزالهم من الوجود حتى انقطعوا وقُطعت ذريتّهم من الأرض. إنّ مصطلح

([٦١])سعيد محمد بابا ،مصدر سابق، ص ٥٠.

([٦٢]) سورة النساء، آية:١٧٦

([٦٣]) سورة غافر، آية:٣٤

([٦٤]) سورة الأنعام، آية:١٣١

([٦٥]) سورة الحاقة، آية:٥

الهلاك لا يعبّر فقط عن موت الإنسان حيث تمّ استخدامه للتعبير عن زوال الجاه والسلطان، فقد قال تعالى: {هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ}،[٦٦] كما عبّر به سبحانه عن حال جميع المخلوقات التي مصيرها هو الزوال والفناء، حيث قال في سورة القصص: {كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلّا وَجْهَهُ ۚ}،[٦٧] فكل شيء سوف يزول ويفنى. قال بعض أهل العلم أنّ الهلاك بمعنى الموت لا يعبّر عن الموت بكل أحواله إذ إنّ الهلاك عندما يُراد به الموت فيكون المراد معنى زائد عن مجرد الموت وهو الانقطاع أي كون الميت قد انقطع نسله ولم تبقَ له ذرية وفي حال الأنبياء فإنّهم لا يُورثّون وهذا وجه استخدام مصطلح الهلاك عند الحديث عن موت النبي يوسف وكذلك الأمر عند الحديث عن النبي صالح في قوله تعالى: {قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ}، [٦٨]فالرهط وهم تسعة أشخاص قد وصفوا موت النبي صالح وأهله بالمهلِك لأنّ نيتهم كانت قتلهم جميعًا.

٢- علم البيان

لا تختلف الصور البيانية في هذه المادة عن نظيراتها في سائر آيات القرآن الكريم كما هو معلوم في جميع آياته على أعلى ما يكون من البيان والبلاغة، كما سنراه فيما يلي من أقاويل المفسرين حول الآيات التالية كنموذج واضح للدلالة على ما في المادة من أساليب البيان :. قوله تعالي: - {لَقَدْ كَفَرَ الّذِينَ قَالُوا إِنّ اللّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرِيمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلكُ منَ الله شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلكَ المَسيحَ ابن مريم وأن وَأُمّهُ وَمَنْ في الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلّهِ مُلْكُ السّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللّهُ عَلَى كُلّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [٦٩] وأراد بعطف (مَنْ فِي الْأَرْضِ) على: (الْمَسيحَ ابْنَ مَرِيمَ وَأُمّهُ) أنهما من جنسهم لا تفاوت بينهما [٧٠] والمراد بالإهلاك الإماتة والإعدام مطلقا لا عن سخط وغضب، وإظهار المسيح على الوجه الذي نسبوا إليه

([٦٦]) سورة الحاقة، آية: ٢٩

([٦٧])سورة القصص، آية:٨٨

([٦٨])سورة النمل، آية:٤٩

([٦٩]) سورة المائدة اية ١٤ – ١٧

([٧٠]) تفسير الزمخشري (١/٦١٧)

الألوهية حيث ذكرت معه الصفة في مقام الإضمار لزيادة التقرير والتنصيص على أنه من تلك الحيثية بعينها داخل تحت قهره تعالى وملكوته سبحانه وقيل: وصفه بذلك للتنبيه على أنه حادث تعلقت به القدرة بلا شبهة لأنه تولد من أم.

وتخصيص الأم بالذكر مع اندراجها في عموم المعطوف لزيادة تأكيد عجز المسيح، ولعل نظمها في سلك من فرض إهلاكهم مع تحقق هلاكها قبل لتأكيد التبكيت وزيادة تقرير مضمون الكلام بجعل حالها أنموذجا لحال بقية من فرض إهلاكه.

وتعميم إرادة الإهلاك مع حصول الغرض بقصرها على عيسى عليه الصلاة والسلام لتهويل الخطب وإظهار كمال العجز ببيان أن الكل تحت قهره وملكوته تعالى لا يقدر على دفع ما أريد به فضلا عما أريد بغيره وللإيذان بأن المسيح أسوة لسائر المخلوقات في كونه عرضة للهلاك كما أنه أسوة لهم في العجز وعدم استحقاق الألوهية. قاله المولى أبو السعود: وجميعاً حال من المتعاطفات، وجوز أن يكون حالا من "من " فقط لعمومها " [٧١]

وقوله تعالى: (يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ) جملة مستأنفة مسوقة لبيان بعض أحكام الملك والألوهية على وجه يزيح ما اعتراهم من الشبه في أمر المسيح عليه السلام لولادته من غير أب وخلق الطير وإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى"والجملة مسوقة لبيان أن قدرته تعالى أوسع من عالم الوجود، وعلى كل تقدير فقوله سبحانه: والله على كل شيء قدير تذييل مقرر لمضمون ما قبله وإظهار الاسم الجليل لما مر من التعليل وتقوية استقلال الجملة[٧٢]

٣- علم البديع : هناك كثير من الصور البديعية في آيات الهلاك نأخذ منها المثال التالي:

. قال تعالى: (ألم يروا كم أهلكنا من قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَنّاهُمْ فِي الْأَرْضِ ما لم يمكن لكم وأرسلنا السماء عليهم مدرارا وجعلنا الأنهار تَجْرِي مِنْ تحتهمْ فَاهْلَكْنَاهُم بذنوبهم وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين) [٧٣]

([٧١]) تفسير الألوسي (٣/ ٢٧٠،٢٧١)

([٧٢]) تفسير الألوسي (٣/٢٧١)

([٧٣]) سورة الانعام، آية:٦

قال الزمخشري والتقارب المعنيين جمع بينهما في قوله (مكناهم في الْأَرْضِ مَا لَمْ تُمكن لَكُمْ) والمعنى: لم نعط أهل مكة نحو ما أعطينا عاداً وثمود وغيرهم، من البسطة في الأجسام، والسعة في الأموال والاستظهار بأسباب الدنيا. والسماء المظلة، لأن الماء ينزل منها إلى السحاب، أو السحاب أو المطر. والمدرار فإن قلت: أي فائدة في ذكر إنشاء قرن آخرين بعدهم؟ قلت: الدلالة على أنه لا يتعاظمه أن يهلك قرنا ويخرب بلاده منهم؟ فإنه قادر على أن ينشئ مكانهم آخرين يعمر بهم بلاده، كقوله تعالى: ولا يخافُ عقباها [٧٤]

. وقوله تعالى: (ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم مِن قَرْن مَكْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ) مع قوله سبحانه وتعالى: (وأَنشأنا من بعدهم قرناً آخرين)

والأول يدل على أن الهالكين طوائف كثيرة.

والثاني يدل على أن المنشأ بعدهم أيضا كثيرون فيكون أمرهم بالسير دعاء لهم إلى العلم بذلك فيكون المراد به استقراء البلاد ومنازل أهل الفساد على كثرتها ليروا الآثار في ديار بعد ديار وهذا مما يحتاج إلى زمان ومدة طويلة تمنع من التعقيب الذي تقتضيه القاء ولا كذلك في المواضع الأخرى ولا يخلو عن دغدغة.

واختار غير واحد أن السير متحد هناك وهنا ولكنه أمر ممتد يعطف النظر عليه بالفاء تارة نظرا إلى آخره، وتارة أخرى نظرا إلى أوله وكذا شأن كل ممتد قُلْ على سبيل التقريع لهموالتوبيخ لمن ما في السماوات والأرض من العقلاء وغيرهم أي لمن الكائنات جميعا خلقا وملكا وتصرفا". [٧٥]

. قال تعالى: (قُلْ أرأيتكُم إِن أَتَاكُمْ عَذَابَ اللهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يَهْلَكَ إِلّا الْقَوْمُ الظّالِمُونَ) [٧٦]

(٧٤) انظر تفسير الزمخشري (٢/٦).

(٧٥) انظر: تفسير الألوسي (٤/٩٨)

(٧٦) سورة الانعام، آية:٤٧

قال الألوسي: لما كانت البغتة أن يقع الأمر من غير أن يشعر به وتظهر أماراته، قيل بَغْتَةً أو جهرة.

وعن الحسن ليلا أو نهاراً وقرئ بغتة أو جهرة هل يهلك أي ما يهلك هلاك تعذيب وسخط إلا الظالمون وقرئ هل يهلك يفتح الياء". (٧٧)

قل أرأيتكم تبكيت آخر لهم بالجانهم إلى الاعتراف بالختصاص العذاب بهم إن أناكُمْ عَذاب الله أي العاجل الخاص بكم كما أتى أضرابكم مـــن الأمم قبلكم بغتة أي فجأة من غير ظهور أمارة وشعور.

ولتضمنها بهذا الاعتبار ما في الخفية من عدم الشعور صح مقابلتها بقوله سبحانه أو جهرة وبدأ بها لأنها أردع من الجهرة. وإنما لم يقل: خفية لأن الإخفاء لا يناسب شأنه تعالى.

وزعم بعضهم أن البغتة استعارة للخفية بقرينة مقابلتها بالجهرة وأنها مكنية من غير تخييلية. ولا يخفى أنه على ما فيه تصف لا حاجة إليه فإن المقابلة بين الشيء والقريب من مقابله كثيرة في الفصيح هل يهلك إلا القوم الظالمون أي إلا أنتم ووضع الظاهر موضع ضميرهم تسجيلا عليهم بالظلم وإيذانا بأن مناط إهلاكهم ظلمهم ووضعهم الكفر موضع الإيمان والإعراض موضع الإقبال وهذا كما قال الجماعة متعلق الاستخبار والاستفهام للتقرير أي قل تقريرا لهم باختصاص الهلاك بهم أخبروني إن أتاكم عذابه جل شأنه حسبما تستحقونه هل يهلك بذلك العذاب إلا أنتم أي هل يهلك غيركم ممن لا يستحقه، وقيل: المراد بالقوم الظالمين الجنس وهم داخلون فيه دخولا أوليا. واعترض بأنه يأباه تخصيص الإتيان بهم وقيل الاستفهام بمعنى النفسي لأن الاستثناء مفرغ والأصل فيه النفي، ومتعلق الاستخبار حينئذ محذوف كأنه قيل: أخبروني إن أتاكم عذابه عز وجل بغتة أو جهرة ماذا يكون الحال. ثم قيل: بيانا لذلك ما يهلك إلا القوم الظالمون أي ما يهلك بذلك العذاب الخاص بكم إلا أنتم. (٧٨)

---

(٧٧) انظر: تفسير الزمخشري (٢/٢٤)

(٧٨) محمد احمد عيد الكردي، مادة هلك دلالاتها واستعمالاتها واساليبها في القران الكريم، حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنين القاهرة، العدد ٣٢، ٢٠١٦، ص ١٥٨٠

الخاتمة

في الختام توصل الباحث لعدة نتائج هي: إنّ الهلاك في اللغة هو مصدر للجذر الثلاثي "هَلَكَ" والمقصود به الموت والفناء، واشتقاقاته كثيرة منها هلكى وهُلّاك، والهُلّاك هم الصعاليك الذين يترددون على الناس ويسألونهم المعروف والعطاء .

فهم أسباب الهلاك: تساعدنا الآيات المتعلقة في فهم الأسباب التي أدت إلى هلاك الأمم السابقة، مما يمكن أن يوفر دروسًا قيمة حول العوامل التي تؤدي إلى الفشل والانهيار.

التأمل والعبرة والعظة: من خلال دراسة هذه الآيات، توصلنا إلى دروس وعبر تستفيد منها في حياتك الشخصية والمجتمعية، وتجنب تكرار الأخطاء التي أدت إلى هلاك الأمم السابقة ومن خلال دراسة هذه الآيات في فهم السياق التاريخي للأمم السابقة وما أدى إلى هلاكها، مما يساعد في فهم القضايا والتحديات التي تواجه الأمم في عصور مختلفة.

المصادر والمراجع

القران الكريم

آبادي, أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز ، بصائر ذوي التمييز،ت ٨١٧هـ.

الزمخشري, أبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد جار الله :(ت: ٥٣٨ هـ) , تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل, الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت الطبعة الثالثة - ١٤٠٧ هـ.

القرطبي (ت: ٥٦٧١), الجامع لأحكام القرآن دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان

الغامدي, أحمد بن عطية بن علي ، الايمان بين السلف والمتكلمين، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة ، الطبعة الاولى ، (١٤٢٣هـ/٢٠٠م) .

القرضاوي، يوسف, الإسلام حضارة الغد، الدوحة: ذو القعدة ١٤١٣هـ- مايو (آيار) ١٩٩٣م.

بابا, سعيد محمد، اسباب هلاك الامم السالفة ، سلسلة اصدارات الحكمة ، الطبعة الاولى ، (١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م) .

الغامدي عبد العزيز بن أحمد ، قصة قوم عاد، خطبة منشورة على الموقع بتاريخ 27/5/2017ميلادي

الرازي, فخر الدين ، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، دار الفكر للطباعة والنشر.

المحاربي, أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي, المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (ت: ٥٤٢ هـ) تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى – ١٤٢٢.

الكردي, محمد أحمد عيد ، مادة هلك دلالاتها واستعمالاتها واساليبها في القران الكريم، حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنين القاهرة، العدد ٣٢، ٢٠١٦.

تعريف ومعنى هلاك في معجم المعاني الجامع"، اطّلع عليه بتاريخ ٢٠٢٠-٠٥-٢٩. بتصرّف.

طنطاوي, محمد، التفسير الوسيط، دار المعارف، ١٩٩٢.

الناجون من الهلاك، تفسير القران العظيم ، جمعية المعارف الاسلامية الثقافية ، الطبعة الاولى ، (١٤٢٢هـ/٢٠٠١م).